التربية بالقرآن الكريم
(المفهوم، والأسس، والضوابط)

بحث مقدم لملتقى التربية بالقرآن الكريم (مناهج وتجارب)

والمنعقد في جامعة أم القرى بمكة المكرمة

في ٢٢- ٢٣/٤/ ١٤٣٦هـ الموافق ١٢- ١٣/٢/ ٢٠١٥م

إعداد:

د. محمد مصطفى أحمد شعيب

رئيس قسم البحوث والمناهج

بالهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، بجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، أحمده سبحانه حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على عبده ورسوه محمد ﷺ صاحب الخلق العظيم، والقلب الرحيم، من أرسله ربه رحمة للعالمين، وهداية للبشرية أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه واتبع سنته إلى يوم الدين، وبعد:

فإن تربية النفس وتزكيتها مقصد عظيم من مقاصد هذه الشريعة، قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾(1) ولا شك في أن القرآن الكريم هو أعظم وأهم وسيلة لتربية النفس وتزكيتها، كيف لا، والله جل وعلا يقول:﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾(2)، فالقرآن يهدي للتي هي أقوم في كل شيء، في العقائد، والتشريعات، والأخلاق، وطرائق التربية والتزكية، وفي كل شيء، وقال تبارك وتعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**﴾(3).

والقرآن هو معين التربية الأول، وهو مصدر الهدى والنور الذي أشرقت له الظلمات، وهو الرحمة الكبرى التي بها صلاح جميع المخلوقات، وهو شفاء الصدور، ونور الأبصار، وطمأنينة القلوب، إنه النعمة الباقية، والعصمة الواقية، والحجة البالغة، والدلالة الدامغة، كيف لا وهو كلام الحق جل وعلا؟!.

وعندما تتأمل القرآن تجد أن مادة (الرب) قد تكررت فيه أكثر من ألف مرة، وقد ذكر المفسرون وعلماء اللغة أن الرب هو المربي الذي يسوس من يربيه ويدبر أمره، وربوبية الله للإنسان تظهر بتربيته إياهم.

وهذا يدل على عناية القرآن بشأن تربية النفس وتزكيتها، ويؤكد لنا كذلك أهمية هذا الملتقى (ملتقى التربية بالقرآن الكريم – مناهج وتجارب) وأهمية الموضوعات والمحاور التي طرحها للدراسة والبحث، وقد رأيت أن أسلط الضوء بإيجاز على المحور الأول من محاور هذا الملتقى، والذي عنوانه (التربية بالقرآن ؛

(١) سورة الجمعة: آية ٢.

(٢) سورة الإسراء: آية ٩.

(٣) سورة الإسراء: آية ٨٢.

المفهوم والأسس والضوابط)، وسأتناول هذا الموضوع - بإذن الله تعالى – من خلال خطة تحتوي على تمهيد، وثلاثة مباحث رئيسة، وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

التمهيد: وأتناول فيه الحاجة إلى التربية القرآنية وأهميتها.

المبحث الأول: مفهوم التربية القرآنية .

المبحث الثاني: أسس التربية القرآنية.

المبحث الثالث: ضوابط التربية القرآنية.

الخاتمة وتشتمل على أبرز نتائج الدراسة.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين .

كتبه /

د. محمد مصطفى أحمد شعيب

التمهيد

(الحاجة إلى التربية القرآنية وأهميتها)

إن البشرية منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا قد عرفت منهجين للتربية لا ثالث لهما:

أحدهما: المنهج الإلهي الذى أنزله الله على أنبيائه ورسله ليبينوا للناس ما نزل اليهم .

والثاني: المنهج الأرضي على اختلاف أنواعه، وتعدد أغراضه، تبعاً لتصورات الناس لطبيعة الحياة والإنسان، ولطبيعة الفرد والمجتمع، وهي تصورات مهما اختلفت وتنوعت فإنها - جميعها- تبقى قاصرةً عن تحقيق التربية المثلى للفرد أو المجتمع، وهي فاقدة للتوازن والاعتدال، شأنها شأن كل منهج من مناهج البشر القاصرة.

من هنا كانت الحاجة ماسة إلى معرفة منهج الله تعالى في مجال التربية، بل وفي كل مجال من مجالات الحياة، بغية امتثاله وتطبيقه وجني ثماره غضة طرية في واقع الحياة؛ استقامة وصلاحاً، وسعادة ورضى، وطمأنينة ورُقِي.

ولا يخفى ما كانت عليه حال البشرية، قبل البعثة النبوية، من بعد عن هدي الرسالات السماوية، فقد كان الشرك مهيمناً على حياة الناس، والظلم فاشياً، والجهل عاماً، والفساد ظاهراً، والفسوق منتشراً، ولم يكن لهم عاصم من دين أو خلق، ولا رادع من قانون أو نظام، ولا وازع من وعى أو مروءة، عالمٌ تحكمه شريعة الغاب، يأكل القوي منهم الضعيف، فبعث الله نبينا محمداً ﷺ بالهدى والنور، فدعا إلى التوحيد، وقاوم الظلم، وأباد الجهل، وأزال الفساد من الأرض، وربَّى النفوس تربية فريدة من نوعها، تلك التربية التي أخرجت لنا خير جيل عرفته البشرية، جيل الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم.

وانطلقت تلك التربية الفريدة للنفس البشرية، من النظرة الصحيحة للإنسان، فهو مخلوقٌ كرَّمه الله تعالى، وفضله على كثيرٍ ممن خلق تفضيلاً، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾[1].

فالإنسان محل العناية الربانية، كرَّمه سبحانه وتعالى بالعقل ليميز النافع من الضار، ويعرف الخير من الشر، ويحقق عبادة الله في الأرض، ويتحلى بمكارم الشريعة، من طهارة النفس، وجميل الأخلاق، والحكمة، والعفة، والصبر، والعدل، والإحسان، وغيرها من مكارم هذه الشريعة وفضائلها.

---

(١) سورة الإسراء: آية ٧٠.

كما أرسل له – سبحانه – الرسالات السماوية لإقرار وتأكيد ما ركز في فطرته من معرفة ربه وخالقه، وأنعم عليه بشتى النعم، وأحاطه بعنايته وحفظه وتسخير ملائكته؛ قال تعالى: ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ [(١)] .

وسخر له جميع ما في الأرض، وجعله خليفة فيها لعمارتها، وتحقيق عبودية الله، ونشر الخير، وإقامة العدل، ودفع الظلم، قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[(٢)].

والإنسان سيد هذا الكون، وكل ما فيه مسخَّر لأجل منفعته وخدمته، وقد خلقه الله تعالى من بين سائر الكائنات خلقة تؤهله للدارين– الدنيا والآخرة – ؛ قال الراغب الأصفهاني – رحمه الله –: «وذلك أن الله تعالى قد أوجد ثلاثة أنواع من الأحياء، نوعاً لدار الدنيا وهي الحيوانات، ونوعاً للدار الآخرة وهو الملأ الأعلى– يعني: الملائكة –، ونوعاً للدارين وهو الإنسان، فالإنسان واسطة بين جوهرين؛ وضيع وهو الحيوانات، ورفيع وهو الملائكة، فجمع فيه قوى العالمين، وجعله كالحيوانات في الشهوة البدنية والغذاء والتناسل والمهارشة والمنازعة وغير ذلك من أوصاف الحيوانات، وكالملائكة في العقل والعلم وعبادة الرب والصدق والوفاءِ، ونحو ذلك من الأخلاق الشريفة.

ووجه الحكمة في ذلك: أنه تعالى لما خلقه لعبادته وعمارة الأرض والخلافة فيها، وهيأه مع ذلك لمجاورته في جنته، اقتضت الحكمة أن يجمع له القوتين، فإنه لو خُلق كالبهيمة معرىً عن العقل لما صلح لعبادة الله تعالى وخلافته، كما لم يصلح لذلك البهائم، ولا لمجاورته ودخول جنته، ولو خلق كالملائكة معرًّى عن الحاجة البدنية لم يصلح لعمارة أرضه، كما لم يصلح لذلك الملائكة، حيث قال تعالى في جوابهم: ﴿**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[(٣)]؛ فاقتضت الحكمة الإلهية أن تجمع له القوتان، وفي اعتبار هذه الجملة تنبيه على أن الإنسان دنيويٌّ وأخرويٌّ، وأنه لم يُخلق عبثاً كما نبه الله عليه بقوله: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾[(٤)]»[(٥)].

---

(١) سورة الرعد: آية ١١.

(٢) سورة البقرة: آية ٣٠.

(٣) سورة البقرة: آية ٣٠.

(٤) سورة المؤمنون: آية ١١٥.

(٥) الراغب الأصفهاني، **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**، (ص ٣٧، ٣٨).

وتحقيق الإنسان للعبودية الحقة لله، وخلافة الأرض وعمارتها على الوجه المطلوب، لا يكون إلا بتربية الإنسان وتهذيبه، فرداً وجماعةً وأمَّةً، ومن هنا كانت التربية القرآنية فريضة في أعناق الجميع، وأمانة يحملها الجيل للجيل الذي بعده، ويؤديها المربون لأنفسهم ولغيرهم.

إنها تربية الإنسان على تحكيم شريعة الله في جميع أقواله وأفعاله، مع التسليم التام والانقياد المطلق لها، ومن دون أن يجد أدنى حرجٍ في نفسه تجاهها؛ قال تعالى:﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾(١).

إنها تربية الإنسان على التوحيد والعقيدة، والإيمان بالله واليوم الآخر والرسل والملائكة والكتب والقدر خيره وشره، وتربيته على العمل الصالح، والتطبيق والامتثال لتعاليم الشريعة، وتربيته على الدعوة إلى الله والتواصي بالحق مع أفراد مجتمعه، والتعاون على تحقيق عبودية الله في الأرض، وتربيته على الصبر بكل أنواعه، صبر على طاعة الله تعالى، ويدخل ضمنه الصبر في إحقاق الحق ومحاربة الباطل، وتحمل تبعات ذلك الطريق أياً كانت شاقةً ومؤلمة، وصبر عن معاصيه، وصبر على أقدار الله المؤلمة، وبمثل هذه التربية ينجو الإنسان من الخسارة، ويحقق الفوز والنجاة بإذن الله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ، إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾(٢).

إنَّ المصائب التي تنزل بالمجتمع الإنساني عامة، والكوارث التي تصيب المجتمعات الإسلامية خاصة، وظلم الإنسان للإنسان، واحتكار الأمم القوية لخيرات الأمم الضعيفة، كل ذلك نتيجة لسوء تربية الإنسان، والانحراف به عن فطرته وطبيعته، وعن ابتغاء كماله من خلال تطبيقه لتعاليم ربه، وامتثاله لشريعته.

ولا نجاة ولا صلاح للبشرية، إلا بالعودة إلى تربية الإنسان تربية إسلامية قرآنية، فالإسلام هو المنهج الرباني المتكامل والمتناغم مع فطرة الإنسان، وقد أنزله الله جل وعلا لصياغة الشخصية الإنسانية صياغة متزنة متكاملة، ليجعل منها خير نموذج على وجه الأرض، يحقق العدالة الإلهية في المجتمع الإنساني، ويستخدم ما سخَّر الله له من قوى الطبيعة، استخداماً معتدلاً متوازناً، لا غلو فيه ولا شطط، ولا تقصير فيه ولا تفريط.

فالتربية القرآنية ضرورة حتمية لتخليص البشرية من التيه والضلال، والشهوات والشبهات، والظلم والقهر والاستبداد الذي تعيشه البشرية بابتعادها عن تعاليم الوحي.

---

(١) سورة النساء: آية ٦٥.

(٢) سورة العصر: الآيات ١-٣ .

المبحث الأول:

مفهوم التربية القرآنية

المطلب الأول: معنى التربية لغة واصطلاحاً:

التربية لغة: إذا رجعنا إلى كتب اللغة ومعاجمها، تبين لنا ثلاثة معاني رئيسة لكلمة التربية:

أولها: الزيادة والنمو والعلو، تقول: ربا يربو، بمعنى: زاد ونما، ومنه كلمة (الربا)؛ لأنه زيادة على رأس المال، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ**﴾[1]، والربوة هي المكان المرتفع.

والمعنى الثاني: النشأة، تقول: ربي يربى- بوزن خفي يخفى -، أي: نشأ وترعرع، ومنه قول ابن الأعرابي:

فمن يك سائلاً عني فإني ... بمكة مترلي وبها ربيت.

والمعنى الثالث: الرعاية والإصلاح، تقول: ربَّ يرب- بوزن مد يمد – بمعنى: أصلحه وتولى أمره، وقام عليه ورعاه، وتقول: ربيت الأمر أربه رباً، ورباباً: أصلحته، و(الرب) بمعنى القيم والمصلح، والله تعالى هو الرب؛ لأنه مصلح شؤون خلقه، ومدبر أمورهم، و(الربيبة) بمعنى الحاضنة؛ لأنها تتكفل بشأن من تحضنه، ومنه (ربة الدار) التي تتعهدها.

هذه معاني عامة لهذا الأصل الثلاثي (ربا)، والفعل المزيد عليه بحرف هو الفعل (ربَّى)، ومصدره القياسي (تربية)[2]؛ ونلحظ في هذه المعاني أن مادة التربية - أو التربيب – تدور على الزيادة والإصلاح، أي: الإصلاح للموجود، والإضافة إليه.

والتربية اصطلاحاً:

قال الإمام الغزالي- رحمه الله - : «ومعنى التربية يشبه عمل الفلاح الذي يقلع الشوك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع، ليحسن نباته، ويكمل ريعه»[3] .

---

(١) سورة الروم : آية ٣٩ .

(٢) انظر: الجوهري، **الصحاح**، (١/١٣٠)؛ والهروي، **تهذيب اللغة**، (١٥/١٩٧)؛ وابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، (٢/١٧٩، ١٨٠)؛ وابن منظور، **لسان العرب**، (١٤/٣٠٤- ٣٠٦)، والزبيدي، **تاج العروس**، (٢/٤٦٣).

(٣) الغزالي، **أيها الولد**، (ص ١٢٨).

وقال الإمام البيضاوي- رحمه الله - : «الرب في الأصل بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً»[1].

وقال الراغب الأصفهاني- رحمه الله - : «الرب في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام»[2].

وعرَّف بعضهم التربية بأنها: «تنشئةُ وتكوينُ إنسانٍ سليم مُسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة، من الناحية الصحية، والعقلية، والاعتقادية، والروحية، والإدارية، والإبداعية»[3].

والتربية الصحيحة المثمرة تتكون من عدة عناصر، وهي:

الأول: تصفية النفس من الشوائب والكدورات، وهو ما يسمى بالتخلية .

الثاني: تعليمها ما ينفعها في الحياة العملية، وهو ما يسمى بالتحلية، ويدخل في ذلك: تنمية المواهب والقدرات والإمكانيات لدى الشخص، واستعداداته كلها، وهي كثيرة متنوعة.

الثالث: المحافظة على الفطرة ورعايتها، ويدخل في ذلك: توجيه الفطرة إلى ما فيه صلاحها وكمالها اللائق بها.

الرابع: التدرج، فالتربية تحتاج إلى وقت وتدرج، وهذا واضحٌ في قول البيضاوي: «شيئاً فشيئاً»، وقول الراغب: «حالاً فحالاً».

والتربية نشأت منذ نشأ الإنسان الأول (آدم عليه السلام)، ومهمتها: الاهتمام بالكائن البشري وتزكيته في كافة جوانبه: البدنية، والعقلية، والنفسية، والروحية، فالتربية كما تعنى بالظاهر من خلال الاهتمام بما يكون به نمو الإنسان واكتمال قوته البدنية، فهي أشدُّ عناية بالباطن، من خلال الاهتمام بحالته الروحية والنفسية والعقلية بما يوحيه الله للإنسان بواسطة رسله، ليكمل له فطرته، ويزكي له روحه ونفسه بعلوم الشريعة، بتعلمه لها وعمله بها .

---

(١) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، (١/٢٨).

(٢)الراغب الأصفهاني، **المفردات**، (ص ٣٣٦).

(٣) مقداد يالجن، **أهداف التربية الإسلامية وغاياتها**، (ص ٢٠).

فالغرض من التربية هو الإعداد للحياة الفاضلة بتكوين العقل السليم والجسم السليم، وبناء الشخصية على أسس متينة من الأخلاق الكريمة، وهداية البشرية إلى ربها ومعبودها، كي تقوم بعبادة الله تعالى، إذ هي الغاية من الخلق، كما قال سبحانه: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[١].

والغاية من التربية وثمرتها: حصول السكينة والطمأنينة للنفس الإنسانية، وبالتالي قيام المجتمع الفاضل الذي يسوده الحب والوئام، وينتشر في أرجائه العدل والسلام .

المطلب الثاني: التربية القرآنية:

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم هو الأساس الأول للتربية والثقافة في المجتمع الإسلامي، وهو المثل الأعلى للمسلمين فيما يقرره من عقائد وعبادات، ومعاملات وأخلاق، وقصص وحكم وأمثال؛ قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾[٢] .

وإذا كان القرآن كتاب عقيدة وتشريع، فإنه في الوقت ذاته كتاب تربية وعلم وتهذيب وإصلاح، وميزة القرآن في هذا المجال أنه ألقى على التربية ثوباً إلهياً قدسياً، فصارت جزءاً من الدين والعبادة، ولأمر ما كان أول ما نزل من القرآن هو قوله تعالى: ﴿**اقرأ**﴾ والقراءة باب العلم والتربية، وكانت الآية الأولى من القرآن: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾[٣] وكلمة ﴿**رَبِّكَ**﴾ ذات صلة قوية بالتربية، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك .

وتتميز التربية الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم بأنها تشمل جميع الجوانب الإنسانية، فهي تهتم بالحواس والعقول، كما تهتم بالقلوب والأرواح.

فالقرآن يدعو إلى استخدام الحواس-كالسمع والبصر- في النظر والتأمل؛ قال تعالى: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾[٤].

ويدعو إلى استخدام العقل للإدراك، والتفكير، وتحصيل العلم والمعرفة؛ قال جل وعلا: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ**

---

(١) سورة الذاريات: آية ٥٦.

(٢) سورة الإسراء: آية ٩ .

(٣) سورة العلق: آية ١ .

(٤) سورة الإسراء: ٣٦.

(٥) سورة الرعد : آية ٤، وسورة النحل: آية ١٢.

آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(٣)، وقال تبارك وتعالى:﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾(٥).

ويدعو إلى تطهير النفس والقلب ليكون هناك إشراق روحي، وتعليم وفتح رباني، قال الله جل وعلا: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٦)، وقال سبحانه: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾(٧) أي: نوراً يكشف لكم الحق من الباطل، والصواب من الخطأ.

إن القرآن الكريم يخاطب أعماق الفطرة، ويستجيش الوجدان، ويحرك القلوب الحية، والعقول النيرة، لتوحّد الله جل وعلا، وقد بلغ من إعجاز القرآن الكريم، وأسلوبه الرائع الخلاب أن خاف المشركون على قلوبهم وأنفسهم من استماعه حتى لا يتحولوا من الشرك إلى التوحيد، ومن الكفر إلى الإيمان، حتى كانت وصية بعضهم للبعض الآخر- كما حكى الله عنهم - ألا يسمعوا للقرآن؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾(٨).

وإنك لتعجب كل العجب، عندما تعلم أنَّ كفار مكة سجدوا لله - رغم كفرهم - تأثراً بروعة القرآن؛ فقد ذهب النبي ﷺ في يوم من أيام شهر رمضان المبارك، في السنة الخامسة من البعثة المحمدية المباركة، إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة، حيث يجلس السادة والكبراء من المشركين، وأخذ النبي ﷺ يقرأ عليهم القرآن الكريم، وافتتح بسورة النجم، وقرع آذانهم كلام إلهي رائع خلاب، يستجيش الوجدان، ويلامس القلوب، ويحرك العواطف، لقد أنصت المشركون جميعاً لكتاب الله، وانشغلوا عن كل شيء بسماع القرآن،

---

(١) سورة الحج: آية ٤٦.

(٢) سورة البقرة : آية ٢٣٠.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٢.

(٤) سورة الملك: آية ١٠.

(٥) سورة الأنفال: آية ٢٢.

(٦) سورة البقرة: آية ٢٨٢.

(٧) سورة الأنفال: آية ٢٩.

(٨) سورة فصلت: آية ٢٦.

وقرأ النبي ﷺ حتى وصل آخر السورة، وفيها قوارع تطير لها القلوب، وتأخذ بالألباب: ﴿**أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا**﴾[١]؛ فخرَّ النبي ﷺ ساجداً لله، ولم يشعر المشركون بأنفسهم إلا وهم سجود لله خلف رسول الله! إي وربي، لم يتمالك المشركون أنفسهم فخرّوا ساجدين لله، تأثراً بروعة القرآن وبهائه وجلاله، وكيف لا وهو كلام الله يتلوه رسول الله ﷺ!.

وقد بوَّب البخاري في صحيحه: (باب سجود المسلمين مع المشركين، ...) ثم روى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون، والمشركون، والجن، والإنس[٢].

كما روى عن ابن مسعود ﷺ: أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم فسجد بها، فما بقي أحدٌ من القوم إلا سجد[٣].

إنَّ القرآن هو المصدر الأول والأساسي للتربية الإسلامية، وهو معينها الذي لا ينضب، وهو الهدى الذي يمحو الله به الجهالة والضلالة، والنور الذي أشرقت له الظلمات، وهو الرحمة الكبرى التي بها صلاح جميع المخلوقات، وهو نور الأبصار من عماها، وشفاء الصدور من أذاها، كلما ازدادت فيه الأبصار تدبراً وتفهماً وتفكيراً زادها القرآن هداية واستقامة وتبصيراً، كيف لا وهو كلام الله رب العالمين، وهو سبحانه الخالق للإنسان والمربي له، من خلال كلامه وشرعه الذي أوحاه إلى أنبيائه ورسله.

لقد ترك القرآن أثراً - لا تخطئه العين - في تربية النبي ﷺ، ولما استنكر الكفار نزول القرآن مفرَّقاً على الحوادث والأزمان، ردَّ الله عليهم بقوله: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾[٤]، وشهدت السيدة عائشة رضي الله عنها بأثر القرآن في حياة النبي ﷺ، فعن سعد بن هشام بن عامر، قال: أتيت عائشة، فقلت: يا أم المؤمنين، أخبريني بخلق رسول الله ﷺ، قالت: «كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن، قول الله عز وجل: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٥]»[٦].

---

(١) سورة النجم : الآيات ٥٧- ٦٢.

(٢) رواه البخاري في **صحيحه**، كتاب سجود القرآن، باب سجدة النجم، (١٠٧١) (٤١/٢).

(٣) رواه البخاري في **صحيحه**، كتاب سجود القرآن، باب سجدة النجم، (١٠٧٠) (٤١/٢).

(٤) سورة الفرقان: آية ٣٢ .

(٥) سورة القلم: آية ٤.

(٦) رواه أحمد في **مسنده**، (٢٤٦٠١) (١٤٨/٤١، ١٤٩)، وقال محققو المسند : «حديث صحيح».

وحياة الرسول ﷺ في حله وترحاله، وسلمه وحربه، وغضبه ورضاه، وهو وحده أو مع أهله أو بين أصحابه، بل حياته كلها في كل أحواله وأوقاته، تشهد بما شهدت به السيدة عائشة – بل والناس جميعاً – من أنه ﷺ «كان خلقه القرآن»، فلم يخرج عن تعاليم القرآن وإرشاداته طيلة عمره قيد أنملة ﷺ .

ورسول الله ﷺ هو المربي الأول لهذه الأمة بالقرآن، فقد أشرف على تربية جيل الصحابة بالقرآن الكريم تربية شاملة متكاملة، حتى ارتقوا إلى القمة التي يصبوا إليها كلُّ بني الإنسان، فكان ذلك الجيل ظاهرة فريدة عجيبة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً حتى الآن، فقد استطاع النبي الكريم ﷺ بهذا القرآن أن يعيد بناء الإنسان العربي الجاهلي، ويخرجه من ظلمات التصحر الفكري والعقائدي والأخلاقي والاجتماعي، إلى نور الإيمان والمعرفة وسمو الخلق وسماحة النفس؛ قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾[1].

واستطاع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم تحويل هذا القرآن إلى منهج حياة، وواقع متحرك، ومجتمع منظور؛ وذلك أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم ينتقلوا عنها حتى يعملوا بما فيها من العمل؛ قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «كان الرجل منّا إذا تعلَّم عشر آيات لم يُجاوزهنَّ حتى يعرفَ معانِيَهُنَّ، والعمل بهنَّ»[2].

وقال أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: عثمان ابن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما، أنهم كانوا إذا تَعَلَّموا من النبي ﷺ عشر آيات، لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً»[3].

ولهذا استحق الصحابة الكرام رضوان الله عليهم الثناء من الله جل وعلا – هم وتابعوهم بإحسان – في قوله جل وعلا: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[4].

وكما كان للقرآن أعظم الأثر التربوي في نفس النبي ﷺ ونفوس الصحابة الكرام، فقد كان للقرآن كذلك وقعٌ عظيمٌ، وأثر تربوي بالغ في نفوس المسلمين، هداية وطمأنينة، واستقامةً وصلاحاً.

---

(١) سورة الجمعة: آية ٢.

(٢) الطبري، **جامع البيان**، (٧٤/١).

(٣) ابن تيمية، **الإيمان**، (ص ١٣٥).

(٤) سورة التوبة: آية ١٠٠.

والسرُّ في ذلك أن للقرآن أسلوباً رائعاً، ومزايا فريدة في تربية النفس البشرية (إنه يفرض الإقناع العقلي مقترناً بإثارة العواطف والانفعالات الإنسانية، فهو بذلك يربي العقل والعاطفة جميعاً، متمشياً مع فطرة الإنسان في البساطة، وعدم التكلف، وطرق باب العقل مع القلب مباشرة.

يبدأ القرآن من المحسوس المشهور المسلم به؛ كالمطر، والرياح، والنبات، والرعد، والبرق، ثم ينتقل إلى استلزام وجود الله، وعظمته وقدرته، وسائر صفات الكمال، مع اتخاذ أسلوب الاستفهام أحياناً، إما للتقريع، وإما للتنبيه، وإما للتحبيب والتذكير بالجميل، أو نحو ذلك، مما يثير في النفس الانفعالات الربانية؛ كالخضوع، والشكر، ومحبة الله، والخشوع له، ثم تأتي العبادات والسلوك المثالي تطبيقاً عملياً للأخلاق الربانية.

ولعل أوضح مثال على هذا الأسلوب التربوي القرآني يتضح في «سورة الرحمن»، حيث يُذكِّرنا الله جل جلاله بنعمه ودلائل قدرته، بادئاً من الإنسان، وقدرته على التعليم، إلى ما سخَّر الله له من الشمس والقمر، والنجم والشجر، والفاكهة والثمر، وما خلق من السماء والأرض، وعند كل آية أو عدة آيات استفهام يضع الإنسان أمام الحسِّ والوجدان، وصوت القلب والضمير، فلا يستطيع أن ينكر ما يحس به، ويستجيب له عقله وقلبه، وقد تكرر ذلك هذا الاستفهام: ﴿**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ [1] إحدى وثلاثين مرة في هذه السورة، وفي كل مرة يثير انفعالاً بحسب الآية التي تسبقه.

والقرآن قد بدأ نزوله بآيات تربوية، فيها إشارة إلى أن أهم أهدافه تربية الإنسان بأسلوب حضاري فكري، عن طريق الاطلاع، والقراءة، والتعليم، والملاحظة العلمية لخلق الإنسان منذ كان علقة في رحم الأم ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[2].

والله تعالى أقسم أحدَ عشرَ قسماً ليقرر أن النفس الإنسانية قابلة للتربية، والتزكية والتسامي[3] [4].

---

(١) سورة الرحمن: آية ١٣.

(٢) سورة العلق: الآيات ١- ٥ .

(٣) وذلك في سورة الشمس، من قوله تعالى: ﴿**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا**﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ [الشمس: الآيات ١-١٠] .

(٤) النحلاوي، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها**، (ص ٢٤، ٢٥).

المبحث الثاني:

أسس التربية القرآنية

التربية بالقرآن تقوم على أسس لا بد منها، ولا تؤتي التربية القرآنية ثمارها إلا بارتكازها على تلك الأسس، وسأتناول أبرز وأهم الأسس، من خلال خمسة مطالب، على النحو التالي:

المطلب الأول: الأساس الإيماني (صحة العقيدة):

إنَّ الأساس الأول للتربية القرآنية، هو التوحيد والعقيدة، وهي أول لبنة وضعها القرآن الكريم في البناء التربوي، فعرَّف الناس بربهم وخالقهم، وعرَّفهم بالغاية التي خلقوا من أجلها، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، قال جل وعلا: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾[١].

وقال جل وعلا مخاطباً أعماق الفطرة، ومستنطقاً لها لتعترف بوحدانية الله تعالى: ﴿**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾... إلى آخر الآيات[٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾... إلى آخر السورة[٣]، والآيات في هذا كثيرة جداً.

وكما عرَّفهم القرآن بخالقهم وربهم جل وعلا فقد عرَّفهم باليوم الآخر، يوم العرض على الله جل وعلا، يوم الحساب والجزاء، قال الله جل وعلا: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى**

---

(١) سورة الذاريات: الآيات ٥٦– ٥٨.

(٢) سورة النمل: الآيات٦٠– ٦٥.

(٣) سورة آل عمران: الآيات ١٩٠– ٢٠٠.

مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾[1]، وتأمل ما ورد في سورة الزلزلة، والتكوير، والانفطار، والانشقاق، والمعارج، والحاقة، والواقعة، والرحمن، والحج، وغيرها كثير، تجدها تعرض لتفاصيل مما يقع في اليوم الآخر، والحساب والجزاء، والصراط والميزان، والجنة والنار.

وهذه التربية التي تقوم على الإيمان بالله وباليوم الآخر هي التي تحفظ التوازن للإنسان في هذه الحياة الدنيا، ثم تدخله الجنة وتنجيه من العذاب في الآخرة.

وهكذا بقية أركان الإيمان، من الإيمان بالرسل، والكتب، والملائكة، والقدر خيره وشره، كل ذلك تعرَّض له القرآن بأسلوب بديع، يجمع بين التعليم والتربية، فيُنشئ جيلاً متوازناً، يؤمن بكافة الرسل الذين أرسلهم الله تعالى، ولا يفرق بين أحد منهم، فكلهم أنبياء الله ورسله، كما يؤمن بملائكة الله تعالى، ويسلم بقضاء الله وقدره، ويؤمن بالكتب المترلة من عند الله تعالى.

قال جل وعلا: **﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾**[2]، قال جل وعلا: **﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾**[3].

ويربي القرآنُ أتباعه على أن الإيمان قول واعتقاد وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فليس الإيمان ادعاء يدعى، ولا كلمة تقال، وإنما هو منهج يظهر على السلوك والجوارح، وتشهد بها أقوال الإنسان وأفعاله؛ قال الله تعالى: **﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾**[4]، وقال سبحانه: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾**... الآيات[5]، وقال جل وعلا: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**

---

(١) سورة الحاقة : الآيات ١٣– ١٨.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٨٥.

(٣) سورة القمر: آية ٤٩.

(٤) سورة البقرة: آية ١٧٧.

(٥) سورة الأنفال: آية ٢– ٤.

وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**﴾[٢] يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة، سمَّى الصلاة إيماناً، وهي جامعة لعمل القلب واللسان والجوارح.

وقال جل وعلا: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ**﴾[٣]، وقال عز وجل: ﴿**وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا**﴾[٤].

وأكَّد ذلك حديث أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ : «الإيمان بضع وسبعون – أو بضع وستون – شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[٥].

وكما ربى القرآن أتباعه على الإيمان بأركانه الستة، وثبت ذلك في قلوبهم بأساليب عديدة وبليغة، فقد عرَّفهم بأنفسهم، وبضعفهم وعجزهم، وأجابهم عن تلك الأسئلة تتعلق بالإنسان ونشأته ومصيره، تلك الأسئلة التي حيَّرت الفلاسفة من غير المسلمين؛ من أنت؟ ومن أين؟ وإلى أين؟ وما هو المصير؟ .

فجاء القرآن بإجابات واضحة شافية كافية، يقنع بها العقل السليم، وتستقر في الوجدان، ويطمئن لها القلب والعقل، وتمنح النفس الإنسانية السعادة والطمأنينة، وتحميه من الوقوع في القلق والشك والحيرة والاضطراب، الذي وقع فيه كثير ممن ابتعدوا عن القرآن، وآثروا مناهج الدنيا وقدموها على المنهج الرباني، منهج الله جل وعلا .

وعبر عن هذه الحيرة وعن هذا الشك وعن هذا القلق أحد أولئك المتشككين، فقال بلسان المقال: جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت! ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت! وسأمضي في طريقي شئت هذا أم أبيت!؟ كيف جئت؟! كيف أبصرت طريقي؟! لست أدري؟! [٦].

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٥.

(٢) سورة البقرة: آية ١٤٣.

(٣) سورة الفتح: آية ٤.

(٤) سورة المدثر: آية ٣١.

(٥) رواه مسلم في **صحيحه**، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، (٣٥) (٦٣/١).

(٦) قصيدة (الطلاسم) لإيليا أبو ماضي، ديوان ايليا أبو ماضي، نيويورك، ١٩١٩م. ص (١٩١)، نقلاً عن: الجربوع، **الأمثال القرآنية**، (٧١٩/٢، ٧٢٠) .

إنه يعيش حالة شك وحيرة وقلق واضطراب، إنه يحيا حياة البهائم والأنعام!!، لا يعرف لحياته معنى، ولا يدرك لوجوده هدفاً ولا غاية، وصدق ربي إذ يقول: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾[1]، إنه وصف الله جل وعلا لهذا الإنسان الذي ابتعد عن منهج الله، وابتعد عن القرآن، ولهذا فهو لا يدري! .

أما المسلم المؤمن، فإنه يعلم ويدري، يدري أن الله هو الذي خلقه ورزقه وأحياه ورباه بالنعم مذ خُلق إلى أن يموت، وأنه خلقه لغاية عظيمة، وهي عبادته جل وعلا، وعمارة الكون بطاعته وتحكيم شرعه ومنهجه، ويدري أن المصير: إما نعيم أبدي وخلود في جنة عرضها السماوات والأرض، وإما عذابٌ وجحيم ونار تلظى، والعياذ بالله تعالى من ذلك.

التربية على العقيدة الصحيحة والتوحيد لله تعالى، والإيمان الصادق، ذلك هو الأساس الأول من أسس التربية القرآنية الفذة الفريدة .

المطلب الثاني: الأساس العلمي (العلم النافع):

العلم هو أساس التربية، بل هو أساس كل عمل، وهو يسبق كل قول أو فعل، وقد بوب الإمام البخاري في «صحيحه»: (باب: العلم قبل القول والعمل) ثم استدل بقول الله تعالى: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾[2]، قال: (فبدأ بالعلم)[3] .

والعلم الصحيح النافع هو طريق الصلاح، ومفتاح الاستقامة والتهذيب، وباب الخشية والتقوى، وأساس التربية والرائد إلى تحقيقها، وإذا كان العلم بهذه المثابة فإن القرآن يعظم شأن العلم والعلماء، ويرغب في طلب العلم ويحث عليه، بل إنَّ أوَّل ما بدأ الله به كتابه هو كلمة ﴿**اقرأ**﴾، والقراءة هي باب العلم والتربية، مما يدل على أهمية العلم واقترانه بالتربية.

كما قرنت آية أخرى بين العلم والتزكية، وبينت أنها وظيفة النبي ﷺ؛ قال تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ**

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٧٩.

(٢) سورة محمد: آية ١٩.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، (١/٢٤).

كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1].

وقال تعالى: **﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾**[2]؛ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام»[3].

وقال سبحانه: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[4]، وقال جل وعلا: **﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾**[5].

والله جل وعلا خلق هذه النفس البشرية بلا أي رصيد من العلم والمعرفة، لكنه سبحانه هيأ أمامها وسائل التعلم والتثقيف والتربية، ثم ألهمها ما فيه زكاتها وطهارتها، ثم علمها، وبين أن طاعته وتقواه سبيل زيادة العلم، قال جل وعلا: **﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**[6]، وقال سبحانه: **﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾**[7]، وقال تعالى: **﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾**[8]، وقال عز وجل: **﴿واتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾**[9].

ومن واجب المجتمع المسلم أن يعمل على توفير مجموعة من العلماء الفقهاء تكفي لتربية الناس وتفقيههم، قال جل وعلا: **﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾**[10].

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٦٤.

(٢) سورة المجادلة: آية ١١.

(٣) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (١/٥).

(٤) سورة الزمر: آية ٩.

(٥) سورة النحل: آية ٤٣، وسورة الأنبياء: آية ٧.

(٦) سورة النحل: آية ٧٨ .

(٧) سورة البلد: الآيات ٨ -١٠.

(٨) سورة العلق: آية ٥.

(٩) سورة البقرة: آية ٢٨٢.

(١٠) سورة التوبة : ١٢٢.

وإذا كان هناك من يفرق بين التربية والتعليم، فيجعل عماد التعليم قائماً على الحفظ وشحن الذهن بالمعلومات، ويجعل عماد التربية قائماً على التدريب والتهذيب، فإن مفهوم العلم عند البصراء من رجال هذه الأمة يضم معنى التأثر والتهذيب بما يعلمه الإنسان، وقد قال جل وعلا: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[(١)] ؛ قال ابن مسعود ﷺ : «ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية»[(٢)] .

ومهنة التربية والتعليم في نظر الإسلام أشرف المهن، وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين، قال سبحانه: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[(٣)] ، وقال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[(٤)] .

المطلب الثالث: الأساس العملي (العمل بالعلم- صحة العبادة):

العمل بالعلم، وضرورة أن يُطلب العلم للعمل، وأهمية التجربة، والتطبيق، ونبذ التقليد:

فمن أهم أسس التربية القرآنية أن يكون العلم للعمل، وألا يكون للتباهي، أو التفاخر أو غيرها من المقاصد، فما لم ينتفع العالم بعلمه بأن يوصله لتقوى ربه وطاعته، كان علمه هذا حجة له لا عليه.

قال عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، ومجاهد، وعكرمة رحمهما الله – وغيرهم من أئمة السلف – في تأويل قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[(٥)] ؛ ﴿ **يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ**﴾ قالوا: «يتَّبعونه حق اتباعه، ويعملون به حق عمله»[(٦)].

---

(١) سورة فاطر: آية ٢٨.

(٢) أحمد بن حنبل، **الزهد،** (٨٦٧) (ص ١٣١)، وانظر أيضاً: السيوطي، **الدر المنثور،** (٢١/٧).

(٣) سورة البقرة: آية ١٢٩.

(٤) سورة الجمعة: آية ٢.

(٥) سورة البقرة: آية ١٢١.

(٦) انظر: الطبري، **تفسير الطبري،** (٤٨٨/٢-٤٩٠)، وابن تيمية، **الإيمان،** (ص ١٣٥)، وابن حجر، **فتح الباري،** (٥٠٨/١٣) .

وروى ابن جرير الطَّبري بسندِه عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «والذي نفسي بيده إنَّ حقَّ تلاوته أن يُحِلَّ حلاله ويُحَرِّم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلمَ عن مواضعه، ولا يتأوَّل منه شيئاً على غير تأويلِه»، وورد مثله عن قتادة، والحسن، وغيرهما من السلف[١].

وعن مجاهد في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[٢] قال: «عمرك أن تعمل فيه لآخرتك»[٣].

وقال سبحانه عن حال نبيه شعيب – عليه السَّلام – مع قومه: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾[٤].

وأمَر سبحانه رسوله بالتمسك بهذا الوحي، وإلزام نفسه العمل به؛ فقال تعالى: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٥].

وأخبر سبحانه وتعالى أن أهل خشيته والخوف منه هم العلماء، قال جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٦].

وبين سبحانه أن تقواه وحسن عبادته والخوف منه ومراقبته سبيل زيادة العلم؛ قال الله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[٧].

والتزام العبادات، والاستمرار على طاعة الله تعالى، سبيل تربية النفس وتهذيبها.

قال الله جل وعلا في شأن الصلاة: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[٨].

---

(١) الطبري، **تفسير الطبري**، (٢/٤٨٩).

(٢) سورة القصص: آية ٧٧ .

(٣) ابن المقرئ، **المعجم**، (ص ١٥٧).

(٤) سورة هود: آية ٨٨.

(٥) سورة الزخرف: آية ٤٣.

(٦) سورة فاطر: آية ٢٨.

(٧) سورة البقرة: آية ٢٨٢.

(٨) سورة العنكبوت: آية ٤٥.

وقال سبحانه وتعالى في شأن الصيام: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[(١)] .

وقال جل وعلا في شأن الزكاة والصدقة: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ**﴾[(٢)] .

وقال عز وجل في شأن الحج:﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[(٣)] .

وقال سبحانه في الاستقامة على صراطه المستقيم، واجتناب كل سبيل سواه: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[(٤)] .

وقال جل وعلا في شأن الطاعات والعبادات عموماً: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[(٥)] .

وقال تبارك وتعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[(٦)].

وتدبر معي مدى التحذير من الانزواء على النفس، وبيان عاقبة التفريط في الدعوة إلى الله، وترك السعي للإصلاح – بعد العمل – قال تعالى:﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾[(٧)]، قال: مصلحون، ولم يقل: صالحون، أي: أن صلاح الشخص في نفسه فحسب لا يكفي للنجاة، فالتربية القرآنية تتطلب من الفرد أن يكون صالحاً مصلحاً، وراشداً مرشداً.

---

(١) سورة البقرة: آية ١٨٣.

(٢) سورة التوبة: آية ١٠٣.

(٣) سورة البقرة: آية ١٩٧.

(٤) سورة الأنعام: آية ١٥٣.

(٥) سورة البقرة: آية ٢١.

(٦) سورة النحل: آية ٩٧.

(٧) سورة هود: آية ١١٧.

ويؤكد ذلك: سورة العصر، حيث ذكرت أربع صفات لا بد منها لينجو الإنسان من الخسران، ومنها: التواصي بالحق، وهو الدعوة إلى الله تعالى، والسعي للإصلاح.

فأهل القرآن هم العالمون بمعانيه، العاملون بما فيه، وإن لَمْ يحفظوه عن ظهر قلب، وأما مَنْ حفظه و لم يفهمه و لم يعمل بما فيه، فليس من أهله، وإنْ أقام حروفه إقامة السهم.

عن النواس بن سمعان ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة، وآل عمران»، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: «كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما حزقان من طير صواف، تحآجَّان عن صاحبهما»[١]، فتأمل قوله: «الذين كانوا يعملون به في الدنيا».

ولقد كان أصحاب النَّبيِّ ﷺ ، ومَنْ جاء من بعدهم من التابعين ومن سلك سبيلهم يعملون بما يتعلَّمون، وما أكثروا من العلم إلا وأكثروا معه من العمل، وتقدَّم قول أبي عبد الرحمن السُّلمي في ذلك، عندما ذكر أن الصحابة الكرام لا يتجاوزون العشر آيات إلى غيرها حتى يتعلموا معناها ويعملوا بها.

(ولذلك نستحسن أن توضع المناهج في تحفيظ القرآن على هذا الأساس، فلا يَكْتَفِي التلميذ المبتديء بحفظ نص الآيات وتجويدها، بل يُعطى شيئاً من تفسيرها وفقهها، على قدر مستواه والمرحلة التي يجتازها، فيُقسَّمُ منهج الحفظ إلى دروس، كل درس يتكوَّن من خمس آيات أو عشر آيات يتعلم تجويدها، وحفظها، وتفسيرها، وما فيها من فقه في وقت واحد، فهذا أقوى حتى لحفظ النص، ومن التزم ذلك نرجوا أنه يُبارَكُ له جزاءَ اقتدائه بالمنهج النبوي)[٢].

وقد ذمَّ الله أقواماً في كتابه الكريم لأنهم تركوا العمل بما علموه من العلم والخير، فقال سبحانه: **﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾**[٣]، وقال سبحانه: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفعَلُونَ﴾**[٤].

---

(١) رواه مسلم في **صحيحه**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، (٨٠٥) (٥٥٤/١).

(٢) عبد العزيز القاري، **سنن القراء ومناهج المجوِّدين**، (ص ٢٩).

(٣) سورة البقرة: آية ٤٤.

(٤) سورة الصف: آية ٢، ٣ .

أين عقولكم يا من تعلمون الخير الكثير ولا تعملون به؟!.

أين عقولكم يامن تُوجِّهون الناس إلى الخير وتدعونهم إليه، ثُمَّ تخالف أعمالكم ما لاكته ألسنتكم! وأمَرتم به غيركم؟!!.

قال الإمام القرطبي- رحِمَه الله -: « اعلم وفقك الله أنَّ التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البر لا بسبب الأمر بالبر، ولهذا ذمَّ الله تعالى في كتابه قوماً كانوا يأمرون بأعمال البر ولا يعملون بها؛ ووَبَّخَهم به توبيخاً يُتلى على طول الدهر إلى يوم القيامة فقال: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ**﴾ الآية.

وروي عن أبي جعفر بن علي، في قول الله تعالى: ﴿**فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ**﴾[1] قال: قوم وصفوا الحق والعدل بألسنتهم وخالفوه إلى غيره»[2].

وقال سبحانه: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[3].

وهذا مثل كل من أوتي علماً وفقهاً في الدين، وحفظاً لنصوص الوحي الكريم ثُمَّ لا يعمل بذلك، مثله في الدنيا «كالحمار يحمل أسفاراً» ويا قبحه من مثل.

قال عمر بن الخطاب ﷺ : «لا يغررنَّكم مَنْ قرأ القرآن، إنما هو كلام يُتكَلَّم به، ولكن انظروا مَنْ يعمل به»[4].

وقال الشافعي- رحِمَه الله -: «ليس العلم ما حُفظ، إنما العلم ما نفع»[5].

وقال ابن الجوزي – رحمه الله –: «فالله الله في العلم بالعمل، فإنه الأصل الأكبر، والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاتته لذات الدنيا وخيرات الآخرة، فقدم مفلساً، على قوة

---

(١) سورة الشعراء: آية ٩٤ .

(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٢٠/١).

(٣) سورة الجمعة: آية ٥.

(٤) الخطيب البغدادي، **اقتضاء العلم العمل**، (١٠٩) (ص٧١).

(٥) الأصبهاني، **حلية الأولياء**، (١٢٣/٩) .

الحجة عليه»[١].

وإنَّ لكل شيءٍ زكاة، وزكاة العلم العمل به، فما أديت زكاته بورك فيه، وحصل به النفع، وإلا محقت بركته.

المطلب الرابع: الأساس الفكري (سلامة التفكير):

القرآن يقرر حرية التفكير، واستقلال الشخصية في البحث والاقتناع والاعتقاد، ويستنكر التقليد الأعمى، وينهى عن اتباع الغير بلا دليل ولا برهان ولو كانوا الآباء أو الأجداد، ويفسح المجال للعقل البشري ليفكر ويتدبر ويعتبر.

قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾[٣]، وقال جل وعلا: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾[٤].

وقال سبحانه: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾[٥]، وقال جل وعلا: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾[٦]، وقال عز وجل: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾[٧].

ونجد في هذه الآيات الكريمة - وما في معناها — أن الله تعالى ذم المقلدين لآبائهم في الكفر والفواحش، من ناحيتين:

---

(١) ابن الجوزي، **صيد الخاطر**، (ص ١٥٩).

(٢) سورة البقرة : آية ٢١٩، و٢٦٦.

(٣) سورة المائدة: آية ٧٧.

(٤) سورة الإسراء: آية ٣٦.

(٥) سورة البقرة: آية ١٧٠.

(٦) سورة المائدة : آية ١٠٤.

(٧) سورة لقمان: آية ٢١.

إحداهما: الجمود على ما كان عليه الآباء، والاكتفاء به عن الترقي في العلم والعمل، وليس هذا من شأن الإنسان الحر العاقل، فإن الحياة تقتضي النمو والتوليد، والعقل يطلب المزيد والتجديد.

والثانية: أنهم باتباعهم لآبائهم قد فقدوا مزية البشر في التمييز بين الحق والباطل، والخير والشر، والحسن والقبيح، بطريق العقل والعلم، وطريق الاهتداء في العمل، ويؤيده قوله تعالى:﴿**وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾(١).

وقال تعالى في عبادة العرب للملائكة: ﴿**وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠) أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ**﴾(٢).

والقرآن يدعو إلى النظر والتدبر والتأمل في آيات الله الكونية والقرآنية، بغية إيقاظ المشاعر والحواس للتفكر والاعتبار والعمل والتطبيق، ومن هنا كثرت الآيات القرآنية التي تتحدث عن مشاهد الكون ومظاهر الطبيعة، وتلفت الأبصار والبصائر إلى الليل والنهار، والشمس والقمر، والنجوم والأفلاك، والأرض والسماء، والهواء والماء، والأنهار والبحار، والأشجار والأطيار، وغيرها من مظاهر إبداع الله تعالى في خلقه في هذا الكون.

قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ**﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾(٤)، وقال عز وجل:﴿**أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ**

---

(١) سورة الأعراف: آية ٢٨.

(٢) سورة الزخرف: الآيات ٢٠- ٢٢.

(٣) سورة الأعراف: آية ١٨٥.

(٤) سورة الحج: آية ٤٦.

وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾[1].

والقرآن يذمُّ أولئك الذين يُعطِّلون حواسَّهم فلا ينتفعون بها في الإدراك والملاحظة والاعتبار، قال الله تعالى: ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾[2]، وقال جل وعلا: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[3]، وقال تبارك وتعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾[5].

وإذا كان عصرنا يفخر بأنه قد وضع في مجال التفكير والتعليم مراحل يسلكها العالم في مجال البحث العلمي، ويتوصل بها إلى تحقيق المعرفة، فمن الإنصاف للحقيقة والتاريخ، بل من الإنصاف لأنفسنا وشخصيتنا العربية الإسلامية أن نقرر أن التربية القرآنية، سبقت إلى وضع المنهج القويم للتفكير والبحث والمعرفة منذ قرون.

فقد أشار القرآن إلى مراحل هذا المنهج، وهي تبدأ بمرحلة التجرُّد من الميول والأهواء والمؤثرات والتقليد، قال جل وعلا: ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ**﴾[6]، ثم تأتي مرحلة النظر والتأمل، قال تعالى: ﴿**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[7]، وقال سبحانه: ﴿**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾[8] .

---

(١) سورة ق: الآيات ٦-١١.

(٢) سورة البقرة : آية ١٨.

(٣) سورة البقرة: آية ١٧١.

(٤) سورة الأعرف: آية ١٧٩.

(٥) سورة الأنفال: الآيات ٢٢- ٢٣.

(٦) سورة المؤمنون: آية ٧١.

(٧) سورة يونس: آية ١٠١.

(٨) سورة الذاريات: آية ٢٠، ٢١.

ثم تأتي مرحلة البحث والموازنة والاستقراء، حيث يدرك العقل مواطن الاتفاق ومواطن الافتراق بين الأشياء، وأوجه الشبه أو أوجه الاختلاف، تمهيداً لاستخلاص النتائج والأحكام، والقرآن ينبه إلى ملاحظة الموازنة في كثير من الآيات، ومن ذلك قوله جل وعلا: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ**﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ**﴾[3].

ثم تأتي مرحلة الحكم المؤيد بالدليل والبرهان، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[4]، وقال عز وجل: ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي**﴾[5]، وقال تبارك وتعالى: ﴿**فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾[6]، وقال تعالى: ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾[7]، وقال عز وجل: ﴿**إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**﴾[8] .

وعلى هذا فالتربية القرآنية تدعو إلى حرية التفكير، واستقلالية العقل، وحصانة البحث، ومقاومة التقليد والجمود على ما كان فيه السابقون، وهذا هو الأساس الرابع من أسس التربية القرآنية: الأساس الفكري.

المطلب الخامس: الأساس النفسي (طمأنينة النفس):

لقد جاءت تعاليم القرآن متناسبة مع كافة احتياجات النفس الإنسانية، فالله سبحانه وتعالى هو خالق هذه النفس، وهو الذي وضع لها ما يناسبها ويحقق لها الطمأنينة والسعادة في كتابه العظيم (القرآن الكريم)،

---

(١) سورة فاطر: آية ١٢.

(٢) سورة فاطر: الآيات ١٩– ٢٢.

(٣) سورة غافر: آية ٥٨.

(٤) سورة البقرة: آية ١١١، وسورة النمل: آية ٦٤ .

(٥) سورة الأنبياء: آية ٢٤.

(٦) سورة القصص: آية ٧٥.

(٧) سورة الإسراء: آية ٨١.

(٨) سورة يونس: آية ٣٦.

فهو دواؤها من أي أمراض نفسية مهما بلغت حدتها ومضاعفاتها، ولا يمكن أن تتوفر حالة الاطمئنان والرضا والسكينة والسعادة بشكل كامل وتام إلا من خلال هذا القرآن العظيم، وبذكر ربنا الرحمن الرحيم، ومن أعظم ذكره التعبد بتلاوة القرآن والعمل به.

قال جل وعلا: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[٣]، وقال تبارك وتعالى: ﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾[٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، وتلا الآية[٥].

فالتربية التي جاء بها القرآن، وتربى عليها أهل الإيمان، هي التي تكفل سعادة الإنسان والمجتمع؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو خالق هذه النفس، ويعلم ما يعتريها من حالات ضعف أو فتور أو مرض، ويعلم أسباب ذلك وعلاجه، والقرآن كلامه سبحانه الذي أنزله لتصلح بتطبيقه وامتثاله أحوال البشرية.

قال تعالى مبيناً سعة علمه وإحاطته بخائنة الأعين وبما تخفيه الصدور: ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾[٦]، وبين ظلم الإنسان وجهله بقوله جل وعلا: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾[٧].

وبيَّن القرآن حال النفس البشرية يوم القيامة، وكيف تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ**

---

(١) سورة الإسراء: آية ٩.

(٢) سورة الإسراء: آية ٨٢.

(٣) سورة الرعد: آية ٢٨.

(٤) سورة طه: آية ١٢٣، ١٢٤.

(٥) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٢٥٨/١١).

(٦) سورة غافر: آية ١٩.

(٧) سورة الأحزاب: آية ٧٢.

يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[1] ، وفي هذا خير رادع لتلك النفس عن ارتكاب المعاصي والموبقات، وخير محفّز للطاعات والقربات.

وهناك حاجة نفسية للقرآن الكريم، فلا يحصل للنفس رضا وطمأنينة إلا بالقرآن، وتربية القرآن، وهناك أبحاث سيكولوجية متطورة تذكر أن في مخ الإنسان فراغ لا يملأ إلا بالتربية الروحية، والتعلق الوجداني، وتستند لأننا ضعفاء ويظهر ضعفنا جلياً حين المرض، أو حين يلوح علينا شبح الموت المخيف، فإذا لم تهتد البشرية إلى دين الله القيم الحق الذي يملأ ذلك الفراغ النفسي والروحي والوجداني عندها؛ تلجأ إلى الخرافات، وعبادة أنواع شتى من الآلهة المزعومة، كعبادة الأصنام، أو عبادة البقر، أو عبادة الأضرحة والقبور، أو عبادة الفئران، أو عبادة النجوم والكواكب، أو حتى عبادة الفرج!!، في محاولة يائسة لملء الفراغ الذهني بتلك المعتقدات وأنواع العبادات – السخيفة –، خوفاً من حالة الضياع القاتلة التي يسببها لهم الفراغ الروحي والوجداني، وأظن أننا لا نحتاج إلى أدلة في هذا الحديث، وخاصة حينما نرى البلدان المتقدمة مادياً وتكنولوجياً وعلمياً مثل الدول الأوروبية، أو اليابان أو السويد، ونحوها من الدول، فإننا نرى إلى جانب التطور التكنولوجي هنالك الضياع المر القاتل الذي يعاني منه قطاع كبير من المجتمع عندهم، وبالرغم من الترف المادي الذي يعيشونه، وتوفر كل وسائل الراحة لهم، إلا أنهم يعيشون أمراضاً نفسية شتى، كالقلق والاضطراب، والإحباط، يعيشون ضيقاً نفسياً وضنكاً، لا يملؤه إلا أن يؤمنوا بالله تعالى إيماناً حقيقياً، ويستجيبون لتعاليم شرعه، فعندها يشعرون بالرضا والسكينة والطمأنينة.

والتربية القرآنية لا تملأ الفراغ الوجداني والروحي والنفسي فحسب، بل إنها تحارب العقد النفسية أولاً بأول، ولا تسمح لها أن تنمو وتنتشر، بل تهيء التربية القرآنية مناخات مضادة لتلك العقد فتقضي عليها وتحاصرها وتمنع نموها، فلا تتحول إلى حالة مرضية عسيرة، كمرض الحسد، أو الحقد، أو التكبر، أو الغيبة، أو النميمة، أو الخوف، أو الجشع، أو التسلط، أو حب السيطرة، أو الانتقام، أو الغرور، أو الوسواس، ... الخ تلك الأمراض النفسية .

ويكون علاجها ومحاصرتها بمجاهدة النفس التي يدعو لها القرآن ويحث عليها، وحملها على أن تتعلم أمور الدين وتعمل بها، وبمخالفة الهوى، فالنفس تميل إلى الهوى وتستميلها الشهوات، فيجب إلزامها ما أمر الله به، وإلزامها ترك ما تهوى مما نهى الله عنه، كمنع العين عن رؤية المحرم، وإمساك اللسان عن قول السوء، ومنع الأذن من الاستماع للمحرم، ومنع اليد أن تمتد للحرام، أو أن تلمس حراماً، وهكذا في سائر

---

(١) سورة النور: آية ٢٤، ٢٥.

الجوارح، فمراقبة النفس ومنعها عن معصية الله وإلزامها طاعته، هو سبيل تزكيتها وتربيتها وتطهيرها وتربيتها.

وقد نقل الإمام القرطبي في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[(١)] عن أبي سليمان الداراني – رحمه الله – قوله: ليس الجهاد في الآية: قتال الكفار فقط، بل هو نصر الدين، والرد على المبطلين، وقمع الظالمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله، وهو الجهاد الأكبر[(٢)].

فالتربية القرآنية تعالج كل تلك الأمراض النفسية، وتملأ وجدان المسلم وقلبه وروحه بكل سعادة ورضا وطمأنينة، وهذا ما قصدته، بالأساس النفسي، الذي هو أحد الأسس التي تقوم عليها التربية القرآنية الفذة الفريدة.

(١) سورة العنكبوت: آية ٦٩.

(٢)القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (١٣/٣٦٥).

المبحث الثالث:

ضوابط التربية القرآنية

كما أن للتربية بالقرآن أسساً تقوم عليها، ولا يمكن وجودها إلا بتوفرها، فإن لها كذلك ضوابط، تحدد مسارها، وتضبط توجهاتها، وتزيد من ثمرتها المرجوة، بإذن الله تعالى، وسأتناول أبرز خمس ضوابط، من خلال خمسة مطالب، على النحو التالي:

المطلب الأول: شمولية التربية:

فالتربية القرآنية تربية عامة شاملة؛ دينية ودنيوية، روحية ومادية، علمية وعملية، فالقرآن لا يفصل بين دنيا الإنسان وآخرته، بل يعتبر دنياه وسيلة للنجاة والسعادة في آخرته، كما أنه يدله على سبيل سعادته في دنياه قبل آخرته، قال جل وعلا : ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾(١).

وعلماء الإسلام ودعاته ومفكروه لم يفرقوا في كتاباتهم التربوية والتوجيهية بين دين المسلم ودنياه، ولا بين حياته وآخرته، بل مزجوا بينهما مزجاً بديعاً عجيباً، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما كتبه الإمام الماوردي – المتوفى سنة خمسين وأربعمائة للهجرة – في كتابه القيم الماتع (أدب الدنيا والدين).

ويوجه القرآن النفس البشرية إلى القوة في الحياة على اختلاف أنواعها، سواء أكانت قوة مادية أو معنوية، علمية أو عملية، عبادية أو أخلاقية، سياسية أو اقتصادية، أو غير ذلك من أنواع القوة؛ قال تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾(٢).

وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز»(٣).

فأي نوع من أنواع القوة، يأمر به القرآن ويدعو إليه، كما تأمر به السنة أيضاً وتدعوا إليه.

---

(١) سورة القصص: آية ٧٧.

(٢) سورة الأنفال: آية ٦٠.

(٣) رواه مسلم في **صحيحه**، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، (٢٦٦٤) (٢٠٥٢/٤).

والقرآن يهدف إلى صيانة المجتمع، وتحصينه ضد عوامل الضعف أو الفناء؛ قال جل وعلا: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، وقال جل وعلا: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[2]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[3].

ومن شمولية التربية القرآنية: أنها تعنى بتربية الفرد، كما تعنى بتربية الجماعة على حدٍّ سواء.

فمن الأمثلة على تربية القرآن للفرد:

تحذير القرآن له من عداوة الشيطان، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾[5].

وتحذيره من الغرور وعاقبته، قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[6].

وتحذيره الطغيانَ وعاقبته: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾[7].

وتذكيره بتحمل تبعات ما يفعل: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[8].

وبالجملة، فإنَّ التربية القرآنية شملت الإنسان في كل تصرفاته وحركاته وسكناته، فكل ما يتعلق بالفرد قد وضعت له التربية القرآنية ما يصلحه، وما فيه سعادته في دنياه وآخرته، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ

---

(١) سورة البقرة: آية ١٩٥.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٣٩.

(٣) سورة النساء: آية ١٠٤.

(٤) سورة يوسف: آية ٥.

(٥) سورة الفرقان: آية ٢٩.

(٦) سورة الانفطار: الآيات ٦ – ٨.

(٧) سورة العلق: الآيات ٦–٨.

(٨) سورة الإسراء: الآيات ١٣– ١٥.

﴿أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [(١)] .

ومن الأمثلة على تربية القرآن للجماعة:

مطالبته لها بالتماسك والوحدة، كما في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [(٢)] .

ويعلمنا القرآن روح الجماعة، حتى في دعاء الله ورجائه، قال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [(٣)] ، وقال تعالى:﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [(٤)] .

ويذكرها باشتراك أفرادها في تحمل التبعات، قال جل وعلا: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [(٥)] .

ويعلمها أن الخير في الجمع بين التفكير الفردي والتفكير الجماعي، كما في قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ [(٦)] ، وقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [(٧)] ، وقوله جل وعلا: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [(٨)] .

ويبين لها أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى، والسعي للإصلاح فريضة على الجماعة المسلمة في مجموعها، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

---

(١) سورة القيامة : آية ٣٦.

(٢)سورة آل عمران: آية ١٠٣.

(٣) سورة الفاتحة: الآيات ٥– ٧.

(٤) سورة الحشر: آية ١٠.

(٥) سورة المائدة: آية ٣٢.

(٦) سورة سبأ: آية ٤٦.

(٧) سورة الشورى: آية ٣٨.

(٨) سورة آل عمران: آية ١٥٩.

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]، وقال جل وعلا: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[3].

وبالجملة، فإنَّ التربية القرآنية شملت البشرية في كل تصرفاتها وحركاتها وسكناتها، ووضعت لها التربية القرآنية ما يصلحها، وما فيه سعادتها في الدنياه والآخرة، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾[4].

المطلب الثاني : الاقتصاد والتدرج :

يقرر القرآن الكريم أن التربية ليست عملية تحول مفاجئ في السلوك، وإنما هي عملية تحول تدريجي، يعتمد على التدرج في التوجيه شيئاً فشيئاً، حتى تؤتي التربية ثمارها المرجوة.

وهذا التدرج قد اختاره الله تعالى لنفسه في إنشاء هذا الكون، فالله جل وعلا بالرغم من قدرته المطلقة التي لا تحدَّها حدود، كما قال جل وعلا: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[6]؛ بالرغم من ذلك فإنه سبحانه لم يخلق الكون دفعة واحدة، وإنما تدرج في خلقه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[7]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[8]، وغيرها من آيات؛ ليكون ذلك دلالة لخلقه أن يتدرجوا في كافة أمورهم.

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران: آية ١١٠.

(٣) سورة المائدة: آية ٢.

(٤) سورة المؤمنون: آية ١١٥، ١١٦.

(٥) سورة البقرة: آية ١١٧.

(٦) سورة النحل: آية ٤٠.

(٧) سورة الأعراف: آية ٥٤، وسورة يونس: آية ٣.

(٨) سورة هود: آية ٧.

ومن طبع الإنسان أنه لا يتغير فجأة، وإنما تمر عليه مراحل من التفكير والتجريب والنظر والتأمل والإدراك حتى يتغير سلوكه .

وقد راعت التربية القرآنية هذا التدرج، فأنت إذا نظرت في ترتيب نزول القرآن، رأيت أن أول الآيات والسور نزولاً كانت تتحدث عن العقائد وتثبيت الإيمان في القلوب، وذكر أحوال الأمم السابقة، والكلام على الجنة والنار وأحوال القيامة، ولم يترل فيها أول الأمر شيئاً من العبادات والحلال والحرام والتكليفات الشرعية، ولو نزل ذلك أول الأمر لما استجاب الناس لذلك في الغالب الأعم، فهو حدثاء عهد بإيمان، ويحتاجون إلى تربية متدرجة حتى يقبلوا الحلال والحرام والتكليفات الشرعية، فكان أول ما نزل من القرآن تبشير وتحذير، وتنبيه إلى عاقبة الأمم السابقة التي كذبت رسلها، وماذا فعل الله بهم، ثم في مرحلة لاحقة، نزلت الأوامر بالعبادات، وتحريم المنكرات، مع مراعاة التدرج في ذلك.

تقول عائشة رضي الله عنها: «إنما نزل أولُ ما نزلَ منه – أي: من القرآن – سورةٌ من المفَصلِ، فيها ذكرُ الجنة والنارِ، حتى إذا ثابَ الناسُ إلى الإسلامِ، نزلَ الحلالُ والحرامُ، ولو نزل أولَ شيءٍ: لا تشربوا الخمرَ، لقالوا: لا ندعُ الخمرَ أبداً، ولو نزل: لا تزنُوا، لقالوا: لا ندعُ الزّنا أبداً، لقد نزلَ بمكةَ على محمدٍ ﷺ، وإنّي لجاريةٌ ألعبُ:﴿**بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**﴾[١]، وما نزلتْ سورةُ البقرةُ، والنساءِ إلا وأنا عندَهُ»[٢].

بل إن نزول القرآن مفرَّقاً على الأيام والليالي، والوقائع والأحداث، ما هو إلا مراعاة لسنة التدرج، وتثبيتاً وتربية للنبي ﷺ ولأمته من بعده، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾[٣].

قال عبد العظيم الزرقاني – رحمه الله – في معرض حديثه عن الحكمة من نزول القرآن مُفَرَّقاً: (أن في التنجيم تيسيراً من الله في حفظه وفهمه، ومعرفة أحكامه وحكمه، وذلك مُطَمْئِن له – أي: للنبي ﷺ – على وعي ما يوحى إليه حفظاً وفهماً، وأحكاماً وحكماً، كما أن فيه تقويةً لنفسه الشريفة على ضبط ذلك كله)[٤].

---

(١) سورة القمر: آية ٤٦.

(٢) رواه البخاري في **صحيحه**، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، (٤٩٩٣) (١٨٥/٦).

(٣) سورة الفرقان: آية ٣٢.

(٤) الزرقاني، **مناهل العرفان**، (٥٣/١)، ومعنى التنجيم: أي التفريق، والمراد نزول القرآن مُفرَّقاً على الحوادث والأزمنة

وقال في الحكمة الثانية من نزول القرآن مفرَّقاً: (التدرج في تربية هذه الأمة الناشئة، علماً وعملاً) [1].

ومن مظاهر هذا التدرج: تحريم الخمر، فقد كان شرب الخمر منتشرا في الجاهلية وفي صدر الإسلام، ولا بُدَّ من تحريمها لما يترتب عليها من أضرار لا تخفى على ذي عينين، ولو نزل تحريمها فجأة لشق ذلك على الناس، وربما لم يستجب الكثيرون للنهي، لإلفهم شربها، وتعودهم عليها، فجاء تحريمها متدرجاً، على ثلاثة مراحل.

المرحلة الأولى: بين الله جل وعلا فيها أن للخمر منافع للناس، وأنها تشتمل على إثم كبير، وأن إثمها أكبر من نفعها، فقال جل وعلا: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا**﴾[2]، فكان ذلك تنبيهاً على خطرها، ومشعراً بإمكانية تحريمها.

والمرحلة الثانية: حصل فيها تحريمها قبيل وقت الصلاة، بحيث يقبل المرء على صلاته وهو عاقل لها، مدركاً لأقواله وأفعاله فيها، غير سكران؛ فقال جل وعلا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**﴾[3] .

وفي المرحلة الثالثة، وبعد أن أدرك الناس شرَّ الخمر، وأن إثمها أكبر من نفعها، وبعد أن اعتادوا على البعد عنها على مدار اليوم والليلة قبيل الصلوات وفي أثنائها، نزل تحريمها النهائي، والمستمر في كل الأوقات، قال جل وعلا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾[4].

ولأجل التدرج في التربية، كان النبي ﷺ يتخوَّلُ أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم[5].

المختلفة في ثلاث وعشرين سنة، فقد كانت السورة تنزل دفعة واحدة، أو ينزل مقطع منها، أو تنزل الآية الواحدة أو مقطع منها، قال تعالى: ﴿ **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا**﴾(الإسراء: ١٠٦)، أي: لتقرأه على مهل، فيتمكَّنوا من حفظه والعمل بما جاء فيه.

(١) الزرقاني، **مناهل العرفان**، (٥٥/١).

(٢) سورة البقرة : آية ٢١٩.

(٣) سورة النساء : آية ٤٣.

(٤) سورة المائدة: الآيات ٩٠ -٩١ .

(٥) رواه البخاري في **صحيحه**، كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة، (٧٠) (٢٥/١)، ومسلم في

وهكذا كان الصحابة الكرام، والسلف الصالح من بعدهم، يأخذون أنفسهم بالاقتصاد والتدرُّج وينصحون غيرهم بذلك، وسار على منوالهم مَنْ جاء بعدهم ممن سلك سبيلهم إلى أيامنا هذه.

وتقدم أثر أبي عبد الرحمن السُّلَمي – رحمه الله – عندما ذكر عن الصحابة الكرام أنهم كانوا يتعلمون عشر آيات ولا ينتقلوا لغيرها إلا عندما يفهموا معناها ويعملوا بها .

المطلب الثالث: الواقعية وعدم المثالية :

فالتربية القرآنية تنطلق من منهج واقعي، فهي تنظر إلى الطبيعة الإنسانية من خلال كون البشر مختلفون فيما بينهم، متنوعون في صفاتهم، متعددون في فصائلهم، كما قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**﴾ [(١)] ، وقال تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [(٢)] .

وهذا المنهج التربوي الواقعي يتعامل مع الفرد من منطلق أنه بشر يصيب ويخطئ، بعيداً عن المثالية والكمال – إذ الكمال لا يكون إلا لله عز وجل وحده –، فالتربية القرآنية لا تتعامل مع مثاليات لا وجود لها في عالم الواقع ، بل تتعامل مع الإنسان في عالم الواقع، وفي حدود إمكاناته وقدراته التي خلقه الله بها، و لم تكلفه فوق ما يطيق، بل تستهدف الوصول به إلى أن يأتمر بما أمره به ربه، وينتهى عما نهاه عنه، في حدود طاقته واستطاعته.

إن التربية القرآنية تأخذ الإنسان بواقعه الذى هو عليه، تراعي حدوده وطاقاته، وتراعي مطالبه وضروراته، وتراعي ضعفه أمام الفتن والمغريات، وضعفه أمام الفرائض والتكاليف؛ فتجدها تساير فطرته[(٣)] في جميع ذلك، ولا تفرض عليه من التكاليف ما يفوق قدرته، أو يعجز عن أدائه .

صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب الاقتصاد في الموعظة (٢٨٢١) (٢١٧٢/٤).

(١) سورة الروم : آية ٢٢.

(٢) سورة الحجرات: آية ١٣.

(٣) الفطرة: هي الخِلقة التي خلق الله الخلق عليها. انظر، ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، مادة فطر (٥١٠/٤). وفطرة الناس واحدة في كل زمان ومكان، ما لم تتغير بعوامل التغيير المختلفة، قال تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾(سورة الروم: آية ٣٠).

قال تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [1]، وقال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [2]، وقال جل وعلا: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [3]، وقال تبارك وتعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [4]، وقال عز وجل: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [5]، وقال جل وعلا: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [6]، وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [7]، وقال تعالى: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [8].

المطلب الرابع: الوسطية والاعتدال:

فالتربية القرآنية تنضبط بوسطيتها واعتدالها، وكلمة (الوسط) تعني: الأفضل والأخير والأعدل، وهو التوسط بين الأطراف، فلا إفراط ولا تفريط، ولا مغالاة ولا تساهل، وإنما وسطية واعتدال.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [9].

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٣٣.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٨٦.

(٣) سورة الأنعام: آية ١٥٢، وسورة الأعراف: آية ٤٢.

(٤) سورة الطلاق: آية ٧.

(٥) سورة المؤمنون: آية ٦٢.

(٦) سورة التغابن : آية ١٦.

(٧) سورة النساء: آية ٢٧، ٢٨.

(٨) سورة الحج: آية ٧٨.

(٩) سورة البقرة: آية ١٤٣.

وإذا كان الإنسان يتكون من جسد وروح، ولكل منهما حاجاته ومتطلباته، فإن منهج التربية القرآنية قد راعى ذلك بشكل متوازن، بحيث لا يطغى الاهتمام بجانب على حساب جانب آخر، فأولت كلاً من الجسد والروح من العناية والاهتمام ما يصلحهما معاً، ولم تهتم بالجسد على حساب الروح كما فعل اليهود، ولا بالروح على حساب الجسد كما فعل النصارى، وإنما اهتمت بالروح والجسد على حد سواء، وبطريقة متوازنة متناغمة، ولذلك تعتبر التربية القرآنية حسنة بين سيئتين، وفضيلة بين رذيلتين، وهى بذلك تقف موقفاً وسطاً بين تطرف الماديين وتشدد الرهبانين.

ومن مظاهر الوسطية والاعتدال في التربية القرآنية: دعوة القرآن إلى العمل للآخرة مع عدم نسيان الدنيا، فالدنيا مزرعة الآخرة، والاعتدال والوسط يكون في عدم طغيان أحدهما على الآخر، قال تعالى : ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾[١] .

ومن ذلك: دعوة القرآن للتوسط في الأكل والشرب، وعدم الإسراف؛ قال جل وعلا: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾[٢] .

ومن ذلك: دعوة القرآن إلى التوسط والاعتدال في الإنفاق، من غير إسراف وتبذير، ومن غير بخل وتقتير؛ قال تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا**﴾[٣] ، وقال جل وعلا: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾[٤] .

قال الإمام الشاطبي- رحمه الله -: (مقصد الشارع من المكلَّفِ الحملُ على التوسط من غير إفراط ولا تفريط ... والوسط هو معظم الشريعة وأم الكتاب، ومن تأمل موارد الأحكام بالاستقراء التام عرف ذلك)[٥] .

---

(١) سورة القصص : آية ٧٧ .

(٢) سورة الاعراف : آية ٣١.

(٣) سورة الإسراء : آية ٢٩.

(٤) سورة الفرقان : آية ٦٧.

(٥) الشاطبي، **الموافقات**، (٢٧٦/٥، ٢٧٨).

والتشريع الإسلامي كله حاملٌ على التوسُّط والاعتدال، فدين الله الذي ارتضاه لخلقه هو الوسط والاعتدال، وهو الصراط المستقيم الذي جاءت به الشريعة، قال الله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[1].

المطلب الخامس : الموضوعية والتجرد ومحاربة الهوى :

وهذا الضابط من أبرز ضوابط التربية القرآنية: فمحاربة المرء لهواه، والتجرد، والبعد عن المؤثرات في تكوين الرأي، أو تحصيل المعلومات، من أبرز أسس التربية السليمة، ولذلك يقول القرآن الكريم: "ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن"، ويقول "قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين."

(١) سورة الأنعام: آية ١٥٣ .

الخاتمة

❋ انطلقت التربية القرآنية الفريدة من النظرة الصحيحة للإنسان، فهو مخلوقٌ كرَّمه الله تعالى، وفضله على كثيرٍ ممن خلق تفضيلاً.

❋ تحقيق الإنسان للعبودية الحقة لله، وخلافته في الأرض وعمارتها على الوجه المطلوب، لا يكون إلا بتربية الإنسان وتهذيبه، فرداً وجماعةً وأمَّةً، ومن هنا كانت التربية القرآنية فريضة في أعناق الجميع، وأمانة يحملها الجيل للجيل الذي بعده، ويؤديها المربون لأنفسهم ولغيرهم.

❋ **التربية لغة:** تدور على ثلاثة معاني رئيسة: الزيادة والنمو والعلو، والنشأة، والرعاية والإصلاح، والتربية اصطلاحاً: تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، والتربية الصحيحة المثمرة تتكون من عدة عناصر، وهي:

الأول: تصفية النفس من الشوائب والكدورات، وهو ما يسمى بالتخلية.

الثاني: تعليمها ما ينفعها في الحياة العملية، وهو ما يسمى بالتحلية، ويدخل في ذلك: نمية المواهب والقدرات والإمكانيات لدى الشخص، واستعداداته كلها، وهي كثيرة متنوعة.

الثالث: المحافظة على الفطرة ورعايتها، ويدخل في ذلك: توجيه الفطرة إلى ما فيه صلاحها وكمالها اللائق بها.

الرابع: التدرج، فالتربية تحتاج إلى وقت وتدرج.

❋ القرآن الكريم هو الأساس الأول للتربية والثقافة في المجتمع الإسلامي، وهو المثل الأعلى للمسلمين فيما يقرره من عقائد وعبادات، ومعاملات وأخلاق، وقصص وحكم وأمثال.

❋ تتميز التربية الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم بأنها تهتم بالحواس والعقول، كما تهتم بالقلوب والأرواح؛ فالقرآن يدعو إلى استخدام الحواس -كالسمع والبصر- في النظر والتأمل، ويدعو إلى استخدام العقل للإدراك، والتفكير، وتحصيل العلم والمعرفة، ويدعو إلى تطهير النفس والقلب ليكون هناك إشراق روحي، وتعليم وفتح رباني.

❊ للقرآن الكريم أسلوب رائع، ومزايا فريدة في تربية النفس البشرية، فهو يفرض الإقناع العقلي مقترناً بإثارة العواطف والانفعالات الإنسانية، وهو بذلك يربي العقل والعاطفة جميعاً، متمشياً مع فطرة الإنسان في البساطة، وعدم التكلف، وطرق باب العقل مع القلب مباشرة.

❊ التربية بالقرآن تقوم على أسس لا بد منها، ولا تؤتي التربية القرآنية ثمارها إلا بارتكازها على تلك الأسس، وأهم هذه الأسس خمس، وهي:

الأول: الأساس الإيماني (صحة العقيدة) .

الثاني: الأساس العلمي (العلم النافع).

الثالث: الأساس العملي (العمل بالعلم- صحة العبادة).

الرابع: الأساس الفكري (سلامة التفكير).

الخامس: الأساس النفسي (طمأنينة النفس).

❊ للتربية بالقرآن ضوابط، تحدد مسارها، وتضبط توجهاتها، وتزيد من ثمرتها المرجوة، وأبرز هذه الضوابط، خمس ضوابط، وهي:

الأول: شمولية التربية.

الثاني: الاقتصاد والتدرج.

الثالث: الواقعية وعدم المثالية.

الرابع: الوسطية والاعتدال.

الخامس : الموضوعية والتجرد ومحاربة الهوى.

قائمة المصادر والمراجع

❋ ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

❋ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، **صيد الخاطر**، بعناية: حسن المساحي سويدان، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

❋ ابن المقرئ، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني الخازن، المشهور بابن المقرئ (المتوفى: ٣٨١هـ)، **المعجم**، تحقيق: أبي عبد الحمن عادل بن سعد، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

❋ ابن تيمية، تقي الدين، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، **الإيمان**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

❋ ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (المتوفى: ٨٥٢هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

❋ ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

❋ ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، **لسان العرب**، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ .

❋ أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق**: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، بإشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

❋ أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، **الزهد**، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة

الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

* الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

* البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (المتوفى: ٢٥٦ هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية، بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

* البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

* البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

* الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، **الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله**، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

* الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

* الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، **اقتضاء العلم العمل**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ .

* الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

* الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)،

المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشـــق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـــ .

❋ الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيـــدي (المتـــوفى: ١٢٠٥هـــ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

❋ الزرقاني، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـــ)، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

❋ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـــ)، **الدر المنثور**، الناشر: دار الفكر، بيروت.

❋ الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـــ)، **الموافقات**، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـــ- ١٩٩٧م.

❋ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، والدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـــ- ٢٠٠١م.

❋ عبد العزيز القاري، الدكتور عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري، **سنن القراء ومناهج المجوِّدين**، الناشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤١٤هـــ.

❋ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـــ)، **إحياء علوم الدين**، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

❋ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـــ)، **رسالة أيها الولد**، تحقيق: علي محيي الدين علي القره داغي الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعـــة ١٤٣١هـــــ – ٢٠١٠م.